المؤتمر الدولي الثاني
لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

غياب الرؤية عن البحث العلمي
في الدراسات الإسلامية والعربية
[الأسباب – المخاطر – الحلول]

إعـــداد

أ.د سعيد أحمد جمعة
أستاذ البلاغة والنقد وعميد كلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر بالسادات

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

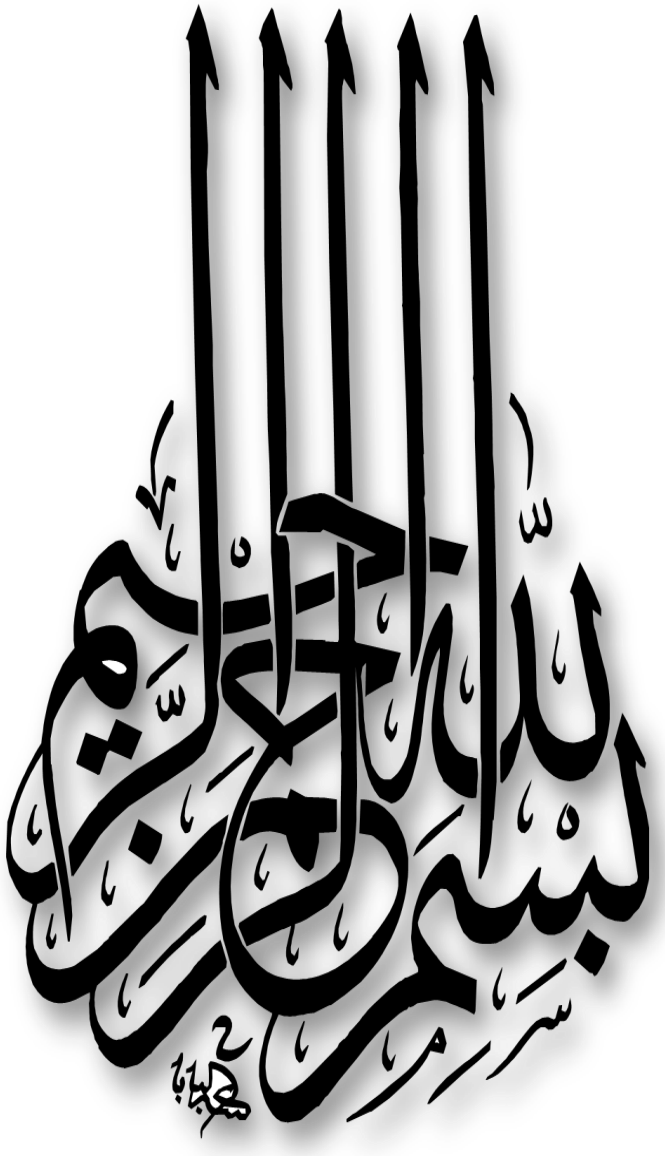
بسم الله الرحمن الرحيم

أثر غياب الرؤية عن البحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية

أ.د. سعيد أحمد السيد جمعة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات جامعة الأزهر

شعبة اللغة العربية – الدراسات العليا (قسم البلاغة والنقد)

ت ٠١٠٩٣٠٢٤٦٠٢ – إيميل sag٢٧٦٥@gmail.com

ملخص البحث

يعالج هذا البحث مشكلة رئيسة في البحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية في كثير من الجامعات المصرية والعربية، وبخاصة في جامعة الأزهر، وهي مشكلة غياب الرؤية عن البحث العلمي وضبابية الأهداف الكبرى، وقد نتج عن هذه المشكلة ضياع الثمرة المرجوة من البحوث، وعشوائية الموضوعات المطروحة على بساط البحث، وغياب المناهج المناسبة التي تعالج المشكلات، وفقدان الثقة في مستقبل أفضل، حيث أمسى البحث العلمي في جميع مستوياته جزءًا من الأشكال التي تسد بها الفجوات، وتعطى بها الدرجات ، وضعفت الصلة بين الباحثين والواقفين على سدة القرار، وصار خلفهم المجتمع ينتظر ماذا يفعل غيرنا لنفعل مثله، وماذا يقدم غيرنا لنتعلم منه؟ مما أضر بالمجتمع العربي والإسلامي، ولقد حاول البحث أن يتلمس الأسباب التي وصلت بالمؤسسات العلمية إلى هذا المنحدر، والآثار المترتبة على ذلك، كما حاول أن يضع بعض الحلول التي يرى أنها قد تعيد الأمور إلى نصابها، مثل إلزام الجامعات برؤية واضحة تخدم هذا القطاع المعني بالدراسات الإسلامية والعربية، وتعميمها على الكليات التابعة لها، ومراجعة ذلك سنويًّا، من خلال الدراسات العليا في كل جامعة .

الكلمات المفتاحية : (أثر – غياب – الرؤية – البحث العلمي)

The impact of the Lack of Vision on practical research in Islamic studies

Prof.Dr : Saeed Ahmed El-Sayed Gomaa
Sadat City Al-Azhar University ،Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls
Department of Arabic Language - Graduate Studies (Department of Rhetoric and Criticism)
/ Tel. ٠١٠٩٣٠٢٤٦٠٢ **- Email:** sag٢٧٦٥@gmail.com

Research Title:

bahath hadha albahth rayiysatan fi albahth aleilmii fi aldirasat al'iislamiat aleamat fi ،walearabiat fi kathir min almujamaeat aleilmiat walearabiat wahi mushkilat ghiab albahth ean albahth aleilmii ،jamieat al'azhar waqad 'antajat ean hadhih almusabaqat ،wadababiat aljazirat alkubraa waeashwayiyat mushkilat almatruhat ealaa basat ،٠٠٩٠٨٨٨٨٨٨٨٨٨ waghiab almanahij almutanawieat alati tuealij almashakil And ،albahtha as scientific research at all levels ،the loss of confidence in a better future and academic ،has become part of the forms by which gaps are filled and the connection between researchers and those in ،degrees are awarded and behind them society waits ،charge of decision-making has disappeared and what others offer so ،to see what others do so that we can do the same which has harmed the Arab and Islamic ،that we can learn from them community. The research has tried to find out the reasons that have and the consequences ،brought scientific institutions to this decline and it has also tried to put some solutions that it ،resulting from that such as obligating ،believes may restore things to their proper place universities to have a clear research vision that serves this sector concerned and disseminating it to the colleges ،with Islamic and Arabic studies through postgraduate ،and reviewing it annually ،affiliated with them studies in each university.

Keywords: (The impact, absence, Lack, practical research)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن البحوث العلمية في الدراسات الإسلامية والعربية أو في غيرها تبتغي واحدا من الأهداف الكبرى التي لا يتخلف عنها أي بحث، وتلك الأهداف هي الرؤية التي لا بد من وجودها، وتتمثل هذه الأهداف فيما يأتي:

- إما أن يفتش البحث عن الجديد المبتكر، فيضع في بناء العلم لبنة لم تكن موجودة من قبل، ويضيف معلومة جديدة لم تكن في العلم من قبل، وذاك هو الإبداع الأسمى.
- أو يصحح فكرة خاطئة ظن الناس أنها صواب، فيأتي الباحث ليثبت خطأها، ويحول مسارها إلى شيء آخر.
- أو يعمد إلى الغامض المغلق فيفتح مغاليقه ، ويفك أقفاله ، ويقربه إلى القارئ، ويسهل ألفاظه.
- أو يأتي إلى المبسوط الواسع فيجمع أركانه، ويلخص بنيانه، ويضم متشابهاته بعضها إلى بعض، فيربط بين الأقران، ويلف الساق بالساق، فيسهل الحفظ، وتتيسر المراجعات.
- أو يأتي إلى نص بديع عالى الجودة، مستول على القلوب فيحلل جزئياته، ويبرز مواطن الحسن فيه، ويشير إلى عناصر الجودة، ويرسم للقارئ خطوط الفن المبثوثة في جنباته، وهي التي علت به على غيره من النصوص، وتفوقت بسببه على مايقارنه من الإبداعات.
- أو يعمد الباحث إلى حبات اللؤلؤ للعقد الواحد والمتفرقة في عدة أماكن فيجمعها، ويعيد نظمها، ويحدد علاقاتها، وأنها أبناء أب واحد وأم واحدة، فيعلم القارئ أن هذه المتفرقات من نسل واحد، وعائلة واحدة.

- أو تكون الغاية شرح المختصرات، وتقريب المطويات، وإيضاح ما دُسَّ بعضه في بعض، ووضع بعضه تحت بعض، فيسهل فهمه، ويتضح مقصده.
- أو تكون الغاية إزالة التراب عن القديم العتيق، وإضاءة الأنوار على المخزونات التي أكل الزمان منها وشرب، فيقترب التراث من الناشئة، ويتعرف المحدثون على إرث القدماء من العلوم الإسلامية والعربية.

تلك هي أهم الأهداف والغايات التي يقف كل باحث وراء واحد منها، أو يدور في فلكها، فإن غابت هذه الغايات، وتحولت البحوث العلمية إلى تسويد الصفحات، وأمسى الهم هو إطاعة الأوامر؛ لتحصيل الدرجات والفوز بالشهادات، فاعلم ساعتها أن البحث العلمي يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وتلك جريرة لا تدانيها جريرة؛ لأن البحث العلمي قاطرة تقود الأمة إلى التقدم والرقي، وهو المقياس الذي تقاس به تقدم الأمم أو تأخرها، وهو الملجأ الذي تلجأ إليه لعلاج مشكلاتها، وهو الكنز الذي يطلبه الجميع لتقديم الحلول، كما أنه الشغل الشاغل للعلماء وأساتذة الجامعات ، وحين لا تقدم أمه بحوثا علمية تخدم احتياجاتها واحتياجات غيرها في جميع فروع العلم التي تهم الإنسان فهي تبرهن على فشل المنظومة العلمية والبحثية في جامعاتها، أضف إلى ذلك أن البحث العلمي هو السبب الوحيد لترقي الأساتذة وترفيعهم إلى الدرجات العلا، وهو المادة الأولى في التعليم داخل الكليات، وحين لاتجد كل هذه المقومات فمن حقك أن تقول إنه لا توجد جامعات، ولا توجد كليات، ولا توجد أقسام علمية، ولا يوجد أساتذة؛ لأن الأساس الذي يبنى عليه كل ذلك غير موجود وهو غياب الرؤية[١].

١- كتب الدكتور خالد منتصر في جريدة الوطن رسالة أتته من أحد الباحثين يقول فيها: (البحث العلمى هو أساس ارتقاء الدول وعماد تطورها، ومع التطور الظاهرى فى حياة المصريين، من حيث استخدام التكنولوجيا، إلا أن إنتاج مصر فى جودة البحث العلمى وتطبيقاته لم تتناسب مع بدايته، منذ إنشاء الجامعة الأهلية المصرية (جامعة القاهرة)، وتخلف تطبيق البحث العلمى فى مصر هو نتيجة مشاكل عدة، قد يتوهم البعض أن التمويل هو ==

ولقد أدركت هذه الحقيقة كثير من الأمم فوضعت للبحث العلمي ميزانيات مالية، وموارد عينية، وتسهيلات إدارية؛ وجذبت الباحثين من شتى بقاع الأرض ليستوطنوا فيها، وأمدتهم بكافة احتياجاتهم الحياتية، وأغدقت عليهم بكل ما يضمن لهم حياة هنيئة ... كل ذلك لتنهض وتسابق غيرها، فالبحث العلمي هو القاطرة التي تُخرج كل مجتمع من حالة الضياع إلى حالة الرشاد، ومن موضع الضعف والهوان إلى موضع الريادة والرقي، وهو الأداة الأساسية التي تُحقق للدول والمؤسسات الأهداف العظمى التى تحلم بها، وتضع لها المقترحات التى تحل بها مشكلاتها، أيا ما كانت تلك المشكلات، في طعامها، ودوائها، ودفاعها عن نفسها ضد الأعداء، وفوق كل ذلك في معتقداتها وقيمها وأخلاقها ولغتها.[1]

وحين تغيب الرؤى تتشتت الجهود، وتضيع الموارد، وتعرقل الأهداف، ويستتبع ذلك إهدار الطاقات، وبقاء الخلل، ولذلك كان هذا البحث فرصة لمراجعة الأمر، وأن تتنبه كل جامعة وبخاصة جامعة الأزهر التي تقود عقل

== المشكلة الأساسية، ولكن على خلاف هذا المعتقد غير الدقيق، فإن المشكلة الحقيقية تكمن فى إدارة البحث العلمى وسياسته، وليس فى تمويل الأبحاث العلمية، بلغ عدد الباحثين فى مصر ١٢٥ ألفاً فى عام ٢٠١٤ وطبقاً لليونيسكو، فإن ١.٥ من ألف عامل فى مصر يعملون فى البحث العلمى، بينما كانت النسبة ١١ فى سنغافورة، و٧.٩ فى أمريكا، و٧.٨ فى بريطانيا، أما إسرائيل، فكانت النسبة ١٦ من ألف عامل يعملون فى البحث العلمى، وأما عن إنتاج مصر فى الأوراق البحثية، فجاءت مصر فى المرتبة ٣١ فى إنتاجية الأوراق البحثية فى مجال التكنولوجيا الحيوية فى عام ٢٠١٦، وجاءت إسرائيل فى المرتبة الـ٤١ فى العام نفسه، والمثير للجدل فى هذا أنه فى عام ٢٠١٤ تم استثمار ٨٠١ مليون دولار فى ١٦٧ شركة ناشئة إسرائيلية فى مجال التكنولوجيا الحيوية، بينما كان الأمر أقل من عدد أصابع اليد الواحدة، سواء كان فى الاستثمار، أو عدد الشركات الناشئة فى مجال التكنولوجيا الحيوية، وهذا ليس بسبب التمويل فى مصر، ولكن بسبب غياب الرؤية وتدهور حالة حقوق الملكية الفكرية، والهجرة الجماعية للعلماء خارج مصر، مع وجود قوانين تمنع الباحثين فى الجامعات الحكومية من إنشاء شركات ناشئة، فنستطيع أن نقول إن إنتاج مصر فى البحث العلمى، لا يساعد فى تقدم الإنسانية، ولكنه يساعد فى التقدم للترقية) جريدة الوطن ٢٠١٧/١٢/٢٠م.

الأمة وقلبها إلى الله تعالى حتى تضع غاية لمنتسبيها يدورون في فلكها، فلكل جامعة رؤية ورسالة، ومن بين مكونات رؤية الجامعات النهوض بالبحث العلمي، ووصل البحوث العلمية بحاجات المجتمع، ولكي نصل إلى هذا كان لا بد من طرح عدة أسئلة يحاول هذا البحث الإجابة عنها، ومنها:

١- كيف نرصد واقع البحوث العلمية في مؤسساتنا ونكشف عن حقيقة التيه الذي تعيشه ؟

٢- ما مستقبل العلم في ظل هذا الواقع الذي يحاول فرض نفسه على جامعاتنا ؟

٣- هل نستطيع الخروج من هذا التيه البحثي ونضع أقدامنا على الطريق الصحيح ؟

وتُعد الدراسات الإسلامية والعربية مجالين محوريين في تحقيق الفهم الدقيق للثقافة الإسلامية واللغة العربية. ومع ذلك، يعاني هذا الحقل من ضعف ملحوظ في جودة البحوث العلمية، مما يؤثر سلبًا على تطوره وإسهامه في معالجة القضايا المعاصرة.

كما تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أبرز أسباب هذا الضعف، وتحليل آثاره، واقتراح الحلول الممكنة.

وجاءت خطة هذا البحث في مقدمة و مباحث وخاتمة وفهارس، ثم دعاء إلى الله تعالى أن يصلح حال البحث العلمي في جامعاتنا العربية، وبخاصة جامعات مصر، وأخص من الخاص جامعة الأزهر الشريف.

منهج البحث:

يحاول هذا البحث أن يتتبع المنهج الوصفي التحليلي ليرصد الواقع واصفًا إياه، ومحللاً جزئياته، ثم واضعًا بعض المقترحات التي يراها حلاً للمشكلة التي يعالجها.

الدراسات السابقة:

تناول مشكلة غياب الرؤية عن البحوث العلمية بصفة عامة كثير من الباحثين في العالم العربي، لكنني لم أجد باحثًا تناول ذلك في مجال الدراسات الإسلامية والعربية، ولذلك اخترت بعض البحوث المقدمة، لتكون مرجعًا لمن يريد الإفادة منها في غياب الرؤية عامة؛ فغياب الرؤية يضر بجميع البحوث، سواء في الدراسات الإسلامية والعربية أو في غيرها، ومن تلك الكتابات التي تناولت مشكلات البحث العلمي، أختار بعض البحوث التي تعالج غياب الرؤية، ومنها، مرتبة حسب صلتها بالبحث، ما يأتي:

- **إشكالية البحث العلمي المنهجية " تحليل وتقويم"**: للدكتور أحمد إسماعيل أبو شنب عميد كلية أصول الدين والدعوة بطنطا سابقًا، منشور بمجلة (الدراية) بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق كفر الشيخ، كما نشر بالمؤتمر العلمي الأول بكلية الدراسات بدسوق والمنعقد عام ١٤٤٢هـ ٢٠ مارس ٢٠٢١ م وعنوان المؤتمر (تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة) . وهو بحث يعالج وقوع بعض الباحثين في براثن العصبية ولأحكام المسبقة، ومن ثم جاءت هذه الأطروحة لتمثل نواةً لمحاولة الإسهام في تصحيح المسار العلمي والمعرفي، وتقويم الأداء البحثي، والوقوف على قواعد البحث العلمي، لرفع الكفاءة البحثية لدى أبنائنا من الباحثين والدارسين وطلاب العلم.
- **أزمة البحث العلمي في الجامعات الإسلامية** للدكتور عبد الرحمن حللي – بحث بمجلة كلية الشريعة – جامعة دمشق –٢٠٠٤م، وهو بحث يعالج مشكلة ندرة البحوث العلمية في المجالات العربية والإسلامية، ويبين الأسباب والحلول.
- **أزمة البحث العلمي في الجامعة** لعبد القادر فيدوح – مجلة الأديب العراقي العدد ٢٩ ٢٠٢٢ وهو بحث يدعو إلى توطين النظريات الحديثة في البحوث العلمية في الجامعات العربية.

- **رؤية استراتيجية مقترحة لتطوير البحث العلمي في الجامعات المصرية لتعزيز قدرتها التنافسية** – للدكتورة أماني السيد غبور – أستاذ أصول التربية بجامعة المنصورة – مجلة بحوث التربية النوعية بجامعة المنصورة عدد ٥٤ سنة ٢٠١٩م.
- **معوقات توظيف البحث العلمي في التنمية** للدكتور علي أبو كميش– الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية – قسم العلوم الاجتماعية عدد ١٢سنة ٢٠١٤م.
- **منهجية البحث العلمي** للدكتور عبد الله قلش – جامعة الشلف بالجزائر ٢٠١٧م، وهو بحث يضع أصولا للمناهج البحثية، والمفاهيم التي تحدد الهيكل البحثي وكيفية العرض والتحليل.

والبحوث الثلاثة الأخير تعالج النمطية المتبعة في البحوث العلمية في العالم العربي.

وهناك مقالات كثيرة في الصحافة، والإعلام المقروء والمشاهد والمسموع مما يعني أن الأزمة صارخة، والعوار ظاهر لكل عين، والبحوث المعروضة كلها لا تتقاطع مع البحث المقدم، وإنما تتعاون معه في وضع الحلول المناسبة لضعف البحث العلمي وانحرافه عن جادة الطريق.

خطة البحث:

تحوي خطة البحث عدة نقاط سريعة، تبدأ بالمقدمة التي تهتم بتوصيف المشكلة، وبيان أبعادها، ثم منهج البحث وخطته والدراسات السابقة، ثم مكونات البحث وهي خمسة مطالب:

المطلب الأول: الاهتمام بالشكل ونسيان الغايات.

المطلب الثاني: االاكتفاء بالتحصيل.

المطلب الثالث: التكرار في البحوث الإسلامية والعربية.

المطلب الرابع: القطيعة بين البحث العلمي والواقع المجتمعي.

المطلب الخامس: ندرة البحوث المشتركة بين الأقسام والمؤسسات المتناظرة.

ثم تأتي الخاتمة والتوصيات، يتلوها الفهرس مشفوعا بالمراجع التي استعان بها البحث .

المطلب الأول

الاهتمام بالشكل في البحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية

حين يكون البحث العلمي في مؤسساتنا التعلمية مقتصرًا على كونه مادة يكلف بها عضو هيئة التدريس، وتكون مهمته جمع البحوث آخر العام وإعطائها درجات لتوضع في نتيجة الطالب، ويُسد بها الفراغ، تجد أن القضية الأهم في أذهان الطلاب في مراحل التعليم الجامعي هي صناعة أشكال للبحوث العلمية، ولاهم لهم ساعتها إلا الحصول على درجات النجاح، والانتقال من عام إلى العام الذي يليه، وحين يغيب عن البلاد مراكز متخصصة في البحث العلمي في كافة المجالات، ويغيب الداعمون عن تزويدهم بما يحتاجون، فإن الهدف ساعتها هو تكوين مجموعة من الهياكل التي تشبه البحث، وما هي بالبحث بل هي صور فارغة، وأشكال خاوية تماما مثل الدمى التي تشبه الحقيقة، ولكنها أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحين تغيب الحقائق وتتصدر الأشكال الفارغة فحدث ولا حرج، وكبِّر على العلم أربعًا، فمادة البحث العلمي الموجودة في مقررات الطلاب لاهدف منها في كلياتنا إلا تسديد هذه الخانات، وملء هذه الفراغات، وإعطاء الطلاب شهادة آخر العام بأنه ناجح، مادام قد كتب بحثا وسلمه لأستاذه، ولو أنك سألت عضو هيئة التدريس عن الغاية من هذه المادة ؟ ونواتج التعلم التي يستهدفها المنهج البحثي في الكلية فلن تجد إجابة مرتبطة بنهضة الأمة، ولا الوصول إلى غايات تنفع البلاد والعباد، وهذا ببساطة يعني عدم وجود هدف أعلى من المادة، والنتيجة واحدة في جميع الجامعات، فمادة (البحث) لا يقصد منها إلا الشكل العام، دون هدف، ودون غاية، وأنا هنا أتحدث عن الأغلب الأعم، ولامانع من وجود نماذج من أهل العلم إذا كُلفوا بتدريس هذه المادة فإنهم يعلمون الطلاب غايات البحث وأهداف التنقيب عن المعلومات، وكيف يكون هذا التنقيب بداية للتطوير والتحديث.

والآن دعنا نسأل عن الأسباب التي أوصلت مادة البحث في جامعاتنا إلى هذا المستوى، ولنبدأ بجامعة الأزهر؛ فهي عقل الأمة وقلبها، وكان أول ما أردت التأكد منه هو توصيف مقررات البحث في الكلية، والغاية التي تقف خلف هذه المادة، والنبتة التي يراد غرسها في قلب طلاب الجامعات ، وكنت أفتش عن الرؤية التي تقف خلف كل ذلك، فراجعت توصيف مقررات البحوث المفروضة على طلابنا فوجدت في مادة البحث الأدبي للفرقة الأولى كَتَبَ القائمون على هذا الملف ما يأتي:

(يهدف هذا المقرر إلى تحقيق الأهداف التالية: "معرفة الطالب معنى البحث في اللغة والاصطلاح، وأن يعرف أقسام البحوث الأدبية، والصفات الواجب توافرها في الباحث الأدبي، والإلمام بأسس اختيار الموضوعات، وتمكينه من البحث في كتب التراث، وتمكينه من علامات الترقيم المختلفة، وتعريفه أهم مناهج البحث الأدبي في العصر الحديث، ودراسة كيفية عمل خطة البحث....إلخ[١].

وهذا كله يخلو من الرؤية، ويخلو من الجديد الذي هو محور البحث والتنقيب، وكأن الذين يضعون المقررات لا يريدون من الطالب إلا أن يقرأ وينقل، ويوثق، ويفهم ما كتب، وينقله للناس، وجزاه الله خيرا ... فالمراد فقط هي الأشكال، والهياكل، والصور، أما الهدف من تدريس المقرر، ونواتج التعلم المستهدفة، فهي لا تزيد عن تعليم الطلاب كيف ينقل المعلومات من الكتب، وآراء العلماء المتنوعة أو المختلفة، وتحذير الطلاب من الوقوع في الأخطاء، وتوقيفهم على مناهج البحث المتنوعة، وكيف تقتبس، ولك في نهاية البحث أن تبدي رأيك فيما قاله العلماء، فالغاية العظمى من هذه المادة محصورة في أن يقف الطالب على ما كتبه الآخرون، وأن يفهمه، وأن ينقله، وأن يكون أمينا في

١- انظر توصيف مقررات شعبة اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بمدينة السادات.

نقله، وأن يعرف المناهج البحثية، وأن يحسن الترتيب والتنظيم وعلامات الترقيم ... ألخ لكن أن يعرف الفجوات العلمية التي ينبغي سدها!! وأن يعرف البدايات التي لم تكتمل .!!! وأن يعرف الأخطاء التي تحتاج إلى تصويب!! والموضوعات التي فتح بابها ولم تغلق!! والإضافات التي يمكن من خلالها تطوير هذا العلم .!!! وما الذي يجب حذفه ؟ وما المسكوت عنه في هذا العلم ؟ وما الجديد ؟ ... كل ذلك ليس في عقل الطلاب منذ المرحلة الأولى ، وحتى المراحل الأخيرة، وهذا يغلق الباب أمام الباحثين، ويحولهم إلى نسخ مكررة لما كتب ونقل وحفظ[١].

فالبنية الأولى في البحث العلمي هي بنية الطالب الجامعي، وهي بنية خالية من الرؤية، خالية من الغاية العظمى من البحث، بنية خالية من توصيف حقيقي للواقع البحثي في كل مادة، ولو أن هذه الشريحة من الباحثين أعني – شريحة طلاب الجامعة – زُرع فيها من البداية الرؤية النهائية، والغاية التي يسعى إليها القائمون على تدريس هذه المادة في الجامعة لتغير كثير من البحوث، ولوجدت نماذج من الباحثين يشبون وعيونهم على الغايات الكبرى، ولوجدت نظريات جديدة، وحلولا لكثير من المشكلات في الدراسات الإسلامية والعربية، ولوجدت العالم يلهث لمعرفة كل جديد من عندنا، لكن الواقع يقول عكس ذلك والسبب غياب الرؤية عن طلاب الجامعة.

والآثار المترتبة على غياب الرؤية لدى طلاب الجامعة، والاهتمام بالشكل فقط هي النظرة السلبية التي تتولد لديهم لهذه المادة، وتندرهم عليها، وانشغالهم بغيرها، ومحاولة ملء الصفحات التي تطلب منهم بالمنقولات تارة، والمسروقات

١– في توصيف مادة البحث (اللغوي) للفرقة الثانية وجدت هذه العبارة فكان من الأمانة نقلها هنا وهي خاصة بالمهارات المهنية كتبوا أن من هذه المهارات : (أن يكتشف الباحث معارف ومعلومات حديثة في البحث اللغوي سعيا إلى عملية التكامل في العلملية التعليمية .) انظر توصيف مقرر مادة البحث اللغوي للفرقة الثانية ٢٠٢٣ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات .

أخرى، فهدف الطالب من المادة أن يسود بعض الصفحات المطلوبة، ولامانع من أن يضع لها عنواناً مناسبًا مع الإشادة بمدرس المادة، وكلمات شكر على جهده ليقتنص من بين يديه الدرجات المطلوبة للنجاح، وهذه حالة لا ينكرها القائمون على التعليم في الكليات؛ لأنهم هم الآخرون مشغولون بوجود أبحاث تحت أيديهم تثبت أنهم درسوا المادة وقاموا بواجبهم خير قيام . زد على هذا أن الموضوعات التي يكلف بها الطلاب هي من نوع العشوائيات التي يختارها الدكتور، فليس هناك هدف، وليس هناك غاية يراد توصيلها، إنما فقط شغل أوقات الطلاب بالمادة، ومراجعة التزامهم بإحضار بحوث ورقية أو إلكترونية مع وجود الكشف بالدرجات، والله يحب المحسنين.

ويظل الباحث يدور في هذا الفلك الدوار ما لم تلحقه عناية الله ، وخلف هذا الكلام كلام، وتحت هذا الكلام كلام، وبجوار هذا الكلام كلام ينبغي على القارئ أن يستحضره ليعلم كم المعاناة التي يعانيها الباحثون في أقسامنا العلمية، ولا يمكن تسطير ما تعج به الأقسام العلمية في كلياتنا؛ لأن المقام لا يتسع لها، والقلب مزحوم بالمآسي، لكن الذي أستطيع قوله هو أن ذلك كله راجع إلى غياب الرؤية .وإذا كان هذا في تسجيل البحوث، واعتمادها، فما بالكم بإجازتها ومناقشتها، إن الأمر جد خطير ويحتاج إلى وقفة للعودة إلى الصراط المستقيم.

ولك أن تراجع نفسيات الباحثين وهم يرون هذا في تسجيلهم للرسائل، في الوقت الذي ترى فيه الآخرين ممن اتضحت عندهم الرؤية، وتعبد لهم الطريق، وتوفر المشجعون ... حيث تراهم يأتون بكل جديد، ويضعون أمامك كل يوم نظرية في تخصصك الذي تزعم أنك فيه خبير! إن البيئة البحثية في جامعاتنا لا تخرج لنا باحثين، بل تخرج لنا موتورين، ينتظرون الفرصة للانتقام من هؤلاء الذين وضعوا العراقيل أمامهم.

المطلب الثاني: الاكتفاء بالتحصيل

تحصيل المعلومات، وجمع الأقوال، ومعرفة ما قاله كل عالم صارت هي الغاية من وراء بحوث الماجستير والدكتوراة، فالموضوعات البحثية لا علاقة لها برؤى محددة، ولا خطط مدروسة من قبل، ومن خلال المتابعات على مدار خمسة وثلاثين عامًا للساحة البحثية في جامعة الأزهر تبين لي أن البحوث المسجلة في المرحلتين همها الغالب هو جمع المعلومات، وذكر الأقوال، وتوثيق المنقولات، وصارت أكثر البحوث العلمية، وبخاصة في مرحلة الماجستير والدكتوراة، معنية بالجمع، والتوثيق، فقط: الجمع والتوثيق !!. أما أن تصب على هذا الذي جمعته شيئًا من عقلك، أو تسقيه بعضًا من ماء تفكيرك فلا.

والجمع والتحصيل والنقل من صفحات مليئة إلى صفحات فارغة كان في الزمان الماضي عمل النساخ، وحرفةً يكتسب منها الكتبة الذين ينقلون الكتب قبل أن تخترع آلات الطباعة، لكن العجيب أن عمل أكثر الباحثين اليوم هو النسخ، ولذلك انتشر على ألسنة الأساتذة، أنه لا جديد في البحوث، وصارت الجملة التي يُقابل بها كل باحث هي: وماذا ستقدم في هذا البحث؟ لقد احترق هذا الموضوع، ولا يمكن أن تضيف إليه شيئًا ... !!.

وهذه التعليقات وتلك الردود لا تكون إلا إذا كان الثابت في الفكر هو أن البحوث متعلقة بنقل المعلومات من الكتب القديمة إلى الصفحات البيضاء، وكأن هدف الباحث أن يزيد النسخ نسخة، وأن يجمع لك كل ما قاله العلماء في المسألة.

ولذلك لاقى الباحثون من الأقسام العلمية العنت الشديد؛ لأن السائد في الفكر أن البحوث ما هي إلا نقول، وجمع ما قيل في المسألة، ومن الممكن أن تمر السنة تلو السنة والباحث يقدم الموضوع تلو الموضوع، ويرفضه القسم؛ لأنه لا يرى جديدًا سيقدم، ولا إضافة ستوضع، ولو أن هناك رؤية واضحة، وغاية ظاهرة لوجدت من الباحثين من يضيف جديدًا، ولوجدت الباحث الذي يعيد يضع

جملة جديدة لم تكن موجودة، أو يضيف فكرة لم يتطرق إليها السابق، ونحن لا نريد من الباحثين أن يخرجوا لنا علمًا كاملاً، ولا إنجازًا مهولاً، إنما نريد في البدايات ولو جملة، ولو سطرًا، المهم أن ترى النقص فتكمله، أو الخطأ فتصححه، أو المفروق فتجمعه، أو الغامض فتوضحه .... إلخ.

المهم أن ترى الطريق، وتنظر إلى الغاية، وقبل أن تخطو، يكون الهدف أمام عينيك، وعليك ساعتها أن تجتهد وأن تنظر، وأن تراجع، وأن تعرف الغاية التي تريدها، وكان الشيخ أبو موسى يقول: "العالِم يأخذ كلامَ مَن سبقه، ثم يُعمِلُ فيه عقلَه؛ لعلَّه يجد له بُرعمًا صغيرًا يستطيع أن يَستخرج منه شيئًا، وهذا هو البحثُ العلميُّ: يأخذ كلامَ مَن سبقه، ويَعقِلُه، ويُفكِّر فيه، ويبحث فيه؛ لعلَّه يَجد فيه خيطًا خفيًّا يستطيع من خلاله أن يضيف لَبِنةً.كما قال سيدُنا رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : "**مَثَلي ومَثَلُ الأنْبياءِ مِن قَبْلي كمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنى بُنْيانًا فأحسَنَه وأكمَلَه، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ مِن زواياه، فجعَلَ النَّاسُ يَطيفون به ويَعْجَبون منه، ويَقولون: ما رأَيْنا بُنيانًا أَحسَنَ مِن هذا، إلَّا مَوضِعَ هذه اللَّبِنَةِ، فكُنتُ أنا تِلْك اللَّبِنَةَ**"(١).

ثم يقول الشيخ: "ولن تكون لَبِنةً إذا حَفِظتَ كلَّ كلامِ مَن سبقوك في بابِك، وإنَّما تكون لَبِنةً إذا استخرجتَ مِن كلامِ مَن سبقوك كلمةً، ولن تكون فقيهًا إذا حَفِظتَ كلَّ الفقه، وإنَّما تكون فقيهًا إذا استخرجتَ مِن الفِقْه فِقْهًا؛ فالفقيهُ هو الذي يَستخرج من الفِقْه فِقْهًا وهو الذي يَقيسُ ما لا يَعْلَمُ على ما يَعْلَمُ، والنَّحْويُّ هو الذي يَستخرج من النَّحْو نَحْوًا وهو الذي يَقيسُ ما لا يَعْلَمُ على ما يَعْلَمُ، وحين يُطالبنا المنهجُ بأن نَستخرج فليس معنى هذا أن نَستخرج كُتُبًا، وإنَّما أن نَستخرج سُطورًا.."(٢).

١- أخرجه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رقم ٢٢٨٦.

٢- من حديث الشيخ في الجامع الأزهر يوم الجمعة ٢٨ فبراير ٢٠٢٥.

وملخص كلام الشيخ الجليل أن العالِم يأخذ كلامَ مَن سبقه، لا ليحفظة كأنه آلة حفظ، إنما يأخذه ليُعمِلُ فيه عقلَه؛ حتى يَستخرج منه شيئًا، وهذا هو البحثُ العلميُّ: يأخذ كلامَ مَن سبقه، ويَعقِلُه، ويُفكِّر فيه، ويبحث فيه؛ لعلَّه يَجد فيه خيطًا خفيًّا يستطيع من خلاله أن يضيف لَبِنة، بإعمال العقل، واستنفار الطاقة لصناعة حياة أفضل، وفهم أفضل، فكل ما يحرك الفهم، ويستفز العقل هو من وضوح الرؤية، وكل ما يغيب العقل هو من غياب الرؤية ، وحين يقتنع العقل بأنه وصل إلى الغاية بتحصيل العلم، فقد غابت عنه الرؤية ولا قيمة لعقل اكتفى بما حصل؛ لأن التحصيل بداية، لكن غياب الرؤية جعله ختامًا، وبئس الختام، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم– جعل التحصيل بداية، والسؤال سيكون يوم القيامة عما بعد التحصيل، **(ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟)**[١].

إن وضوح الرؤية تستلزم أن يكون التحصيل بداية وليس نهاية ، فإذا اعتبرنا التحصيل نهاية فسوف نظل عالة على غيرنا.

١– أخرجه الترمذي، باب في القيامة (٦١٢/٤)، رقم: (٢٤١٦).

المطلب الثالث

القطيعة بين البحوث العلمية وا لمجتمع

من بين الآثار التي يخلفها غياب الرؤية فصل البحث العلمي عن المجتمع، وكأن الباحث ينفق الوقت والجهد للفراغ، أو كما يقول المثل الشعبي المصري: (للهِ يا زَمْرِي) إن البحث العلمي في أي مجال من المجالات يضع عينه على المجتمع، فالبحث عن الجديد من أجل المجتمع، وتيسير الصعاب من أجل المجتمع، وكل ما ينتجه البحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية أو في غيرها من أمور العلم هي للمجتمع، ولا انفصال بين البحث العلمي والمجتمع، لكن الرؤية حين تغيب ترى الباحث يبحث وعينه بعيدة عن مصالح الناس، وعندها لا ينبغي أن نسمي المنتج النهائي بحثًا علميًّا.

وقد يظن بعض الناس أن الدراسات الإسلامية والعربية بعيدة الصلة عن المجتمع، لكن النظر الدقيق يعلم أن هذه الدراسات هي قلب الأمة وعقلها، فالدراسات الإسلامية هي العقائد والتشريعات، هي الرسالة التي ختمت بها الرسالات لتهدي الناس، وتخرجهم من الظلمات إلى النور، هي الحلال والحرام، هي أصل الهوية التي ينتمي إليها الإنسان، أما الدراسات العربية في الفهم والإفهام، واللسان الذي يفصح ويعبر ويقنع ويؤثر، ولن يستطيع إنسان أن يعيش على وجه الأرض إلا إذا استمع وفهم، ثم أفهم غيره، ثم توصل من مرحلة الإفهام إلى مرحلة التأثير، ثم مرحلة الإقناع والتسليم، وهذا كله بابه اللغة، ومركبه الكلام، ووسائله الحديث، وحين يغيب هذا الفهم تتحول البحوث في هذا الميدان إلى عالم افتراضي، عالم لا ينظر إلى مصلحة الإنسان، ولا يجد من يدعم هذا البحث، وإذا توصل البحث إلى نتائج محددة تراها غير قابلة للتطبيق.

بل إن الكارثة الكبرى أن هذا الفصل يؤدي إلى انعدام الثقة بين المجتمع والعلماء؛ ذلك لأن البحث العلمي لم يوجد إلا لتحسين حياة الناس، وتنقية عقائدهم، وتصويب آرائهم، وزيادة وعيهم بالمصالح والمفاسد التي تواجههم في

مجال الدراسات الإسلامية والعربية، وهذا يستوجب مراجعة النظر في كيفية ربط البحث العلمي بمصالح الناس.

والذي أراه أنه يجب أولاً تحديد احتياجات المجتمع فيما يخص الدراسات الإسلامية والعربية، ثم تحديد المشكلات التي تواجه المجتمع في هذا الميدان، مثل المشكلات العقدية عند بعض الناس، والمشكلات الخاصة بفهم القرآن الكريم، ومواطن الشبهات التي تصدرها الآلة الإعلامية الغربية إلى مجتمع الشباب، ثم اختيار مجموعة منتقاة من الباحثين الجادين الموهوبين للنظر في هذه الشبهات، والرد عليها بالحكمة والموعظة الحسنة، وما يقال في شأن القرآن الكريم يقال مثله في شأن الحديث الشريف، وكذا في شأن اللغة العربية.

إن الغرب يقذف كل يوم بالكثير من الضلالات، ومجتمع المسلمين يعاني أشد المعاناة من انحراف الشباب بناءً على هذه الشبهات، والأسر المسلمة تفاجأ بانسلاخ الأبناء من الدين بالكلية، أو اتهام الدين بالقصور في بعض الأمور، ولا يوجد عند الأسر إجابة على هذه الضلالات، وتعيش هذه الأسر في حالة من الكرب، وينادون على أهل التخصص والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية فيجدونهم في عالم مشغول بالنقل من الكتب، وتسطير الصفحات ليبلغ عددها خمسمائة صفحة، حتى تملأ عين المناقشين، وترفع من قدر الباحثين!، فإذا فتشت فيها لا تراها تعالج مشكلة، ولا تصوب خطأ ، ولا تكمل معلومة ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

لذلك كان لا بد من حضور الرؤية أولا في عقول الباحثين، وحضورها يعني النظر في مشكلات المجتمع، والبحث عن حلول لها، وبخاصة في مجال الدراسات الإسلامية والعربية، ومن هنا يتبين للمجتمع ثمرة البحث العلمي في هذا الميدان، وتعود الثقة بين المجتمع والباحثين، وعندها يتلقف المجتمع هذه البحوث، ويسعى في تطبيقها.

والذي أريد أن أؤكد عليه أن الدراسات الإسلامية والعربية لا يوجد لها مراكز بحثية مثل التي توجد لغيرها! ومع أن وزارة البحث العلمي في مصر

تضم تضم ثلاثة عشر مركزاً بحثيًّا إلا أنه لا يوجد من بينها مركز للدراسات الإسلامية والعربية، كما أن وزارة التعليم العالي تضم أكثر من مائة وعشرين مركزًا للبحث العلمي، ولا يوجد من بينها مركز واحد للدراسات الإسلامية والعربية، بل تجد مثلاً ثلاثين مركزًا في مجال الزراعة، وخمسة وعشرين في مجال الطب، وأقل من ذلك في المجالات الأخرى مثل المياه والطاقة والتكنولوجيا، وحين تبحث عن مجال الدين واللغة فلن تجد، والناس يتخبطون في المشكلات العقدية، ويتصارعون في الحلال والحرام، بل ويخرجون من الدين لسوء الفهم أو لقلة الثقة في المعروض أمامهم في وسائل الإعلام.

ولو أنك نظرت أيضًا إلى هذه المراكز فإنك لن تجد استفادة منها على المستوى التطبيقي؛ لأن غياب الرؤية يعيق البحث العلمي، فتراه في النهاية بلا جدوى، مما نتج عنه أزمة الثقة بين المجتمع وما ينتجه الباحثون، وهذا بلا شك يؤدي إلى تراجع العلم وتخلف المجتمع.

المطلب الرابع: غياب البحوث المشتركة

البحوث المشتركة تعني أن المشكلة تطال الجميع، مما يستوجب أن يتشارك الجميع في حلها، والبحوث المشتركة تعني أن الجهود لابد أن تتكاتف، وأن اليد تشد اليد، والكتبف بجوار الكتف، وفوق كل هذا يوضع الفكر مع الفكر ليتعاونوا جميعا على حل المشكلات العلمية في الدراسات الإسلامية والعربية، وجذور هذا الأمر موجودة في ديننا، ففي الحديث النبوي الشريف يقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**من أراد الله به خيرا رزقه خليلاً صالحًا إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه**"[١] وقال –صلى الله عليه وسلم–: "**مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط ، إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا**"[٢] وراجع هذه الجمل: (إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه) وكذا قوله: (اليدين تغسل إحداهما الأخرى) فهناك عمل مشترك، وهناك مراجعات لما يكتبه الآخر، وهناك تصويب، وتكميل، وتلك هي مهمة البحوث المشترك، التي تعني أن هناك مشكلة يبادر الجميع إلى حلها، كما يحدث في مجال الطب حين يتعرض المجتمع إلى جائحة، فيتكاتف الجميع في البحث عن علاج لها، وأقرب مثال لذلك جائحة كرونا التي تكاتف من أجلها كل أهل الأرض، حتى وضعوا لها العلاج، لكن الواقع المرير يعلن في كل لحظة أن عدم وجود الرؤية، أو ضبابيتها يؤدي حتما إلى غياب البحوث المشتركة، وبعثرة الجهود المبذولة، وضياع الأموال التي

١– رواه أبو داود من حديث السيدة عائشة.

٢– هكذا هو في القوت، قال العراقي: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة، والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحربيات، انتهى، قلت: وأخرجه ابن شاهين في الترغيب والترهيب من طريق دينار عن أنس مرفوعا: "مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، ودينار أبو مكيس، قال [ص: ١٧٤] ابن حبان: يروي عن أنس أشياء موضوعة، انتهى. والباهلي هذا يعرف بغلام خليل، قال الدارقطني: كان يضع الحديث.

يستلزمها البحث العلمي، ويترتب على كل ذلك عدم وجود ابتكار في العلـــم، أو تحسين جودة البحث على أقل تقدير.

وعليه فيجب التنبيه على أن البحوث المشتركة هي نتاج الرؤية الواضحة، حيث توضع لبنة على لبنة حتى يكتمل البناء، والعجيب أن البحوث المشـــتركة تراها بكثرة في مجال الطب والهندسة والزراعة وباقي التخصصـــات العمليـــة، لكنها شحيحة جدا في التخصصات النظرية، وحين تعقد موازنة بين الاتجـــاهين يتضح للقارئ أن التخصصات العملية معنية براحة الجسد وتـــوفير المتطلبـــات الحسية له من طعام ودواء ومسكن وانتقال ..... إلخ!.

أما ما يتعلق بالروح والنفس والعقل والفكر فإنك لاتكاد تجد بحوثًا مشتركة بين المتخصصين في هذا المجال، مع أن الاهتمام بالروح والنفس والعقل والفكر أولى من الاهتمام بالجسد، فالنفس والعقل هما من يقودان الجسد ويرســـمان لـــه طريق الحياة ، لكنها الرؤية الغائبة كما يقول البستي:

يا خادمَ الجسم كـــم تشقـــــى بِخدمتـــه

أتطلب الربح فيمـــــا فيـــــه خســـران

أقبل على النفس واســـتكمل فضـــائلها

فأنـــت بـــالنفس لا بالجســـم إنســـــان

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين، وبعد:

فلقد كشف هذا البحث عن عوار في البحوث العلمية المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية، مما يستوجب الإسراع في علاج هذا الخلل الذي أصاب جامعاتنا المصرية، وبخاصة جامعة الأزهر الشريف، ومن أهم المشكلات التي تحتاج إلى حل:

- **غياب الرؤية عن البحوث التي يكلف بها الطلاب في المراحل التعليمية** الأولى بالجامعة، وحين تغيب الرؤية في هذه المرحلة فإن العقل ينشأ على غربتها، وهذا يستوجب وضع الرؤية عنوانا لباب من أبواب المادة التي تدرس للطلاب في المرحلة الجامعية.
- **تبين من خلال البحث حاجة البحوث العلمية في الدراسات الإسلامية** والعربية للجهود المشتركة من الجامعات، والمؤسسات البحثية، والجهات المانحة؛ لمعالجة قضايا العالم الإسلامي وتعزيز التفاهم الثقافي عالميًّا؛ فالبحوث المشتركة دليل على حضور الرؤية الصحيحة.
- **لا يعد البحث بحثًا علميًّا** إلا إذا كانت عينه على المجتمع.
- **المقصود من حضور الرؤية** إضافة الجديد ولو سطرًا واحدًا.
- **الاهتمام بالشكل أحد آثار غياب الرؤية البحثية.**

ويوصي البحث:

بضرورة وضع رؤية بحثية واضحة المعالم لجميع المشتغلين بالبحث العلمي في الدراسات الإسلامية والعربية بداية من طلاب الجامعة وانتهاءً بالبحوث التخصصية في مرحلة الأستاذية. كما يوصي بإضافة الرؤية الواضحة في توصيف المقررات في جامعاتنا المصرية.

ويرى الباحث أن الرؤية الواضحة في البحث العلمي منوطة باللجان العلمية للترقيات وكبار الأساتذة في الكليات .

فهرس العناوين

العنوان	الصفحة
مقدمة البحث	١١٩٦
بعض الدراسات السابقة	١٢٠٠
المطلب الأول: الاهتمام بالشكل في البحث العلمي	١٢٠٣
المطلب الثاني : الاكتفاء بالتحصيل	١٢٠٧
المطلب الثالث: القطيعة بين البحوث العلمية والمجتمع	١٢١٠
المطلب الرابع: غياب البحوث المشتركة	١٢١٣
الخاتمة	١٢١٥
الفهرس	١٢١٧